

## الوقت لا يسمح بألعاب إيرانية في لبنان

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

بات واضحا أن الخطوة التي أقدم عليها رئيس الوزراء السابق سعد الحريري والقاضية بالقبول بأن يكون وزير المال في حكومة مصطفى أديب "شيعيا"، كانت بناء على طلب فرنسي. يؤكد ذلك مساعرة وزارة الخارجية الفرنسية إلى وصف مبادرة الحريري بـ"الشجاعة". لا شك أن الرئيس إيمانويل ماكرون وضع قلبه خلف خطوة سعد الحريري، نظرا إلى أن تشكيل حكومة، وفق مواصفات معينة، يشكل الحجر الأساس في مبادرته اللبنانية. أكثر من ذلك، أن نجاح هذه المبادرة صار مرتبطا بشخص الرئيس الفرنسي. يتبين، أقله إلى الآن، أن ثمة رغبة لدى "الثنائي الشيعي" في تفادي الدخول في مواجهة مباشرة مع فرنسا التي ترفض، إلى إشعار آخر، إدراج "حزب الله" في قائمة الإرهاب على الرغم من كل الضغوط الأمريكية وعلى الرغم من أن ألمانيا فعلت ذلك.

يسعى "الثنائي الشيعي"، الذي يتحكم به "حزب الله"، إلى حد كبير، إلى تكريس أن يكون أي وزير للمال في الحكومة اللبنانية، من الآن فصاعدا، "شيعيا". يريد الثنائي فرض أمر واقع وتحويل ذلك إلى قاعدة وإلى جزء لا يتجزأ من عملية تشكيل الحكومة اللبنانية. بدل أن يتخلص لبنان شيئا فشيئا من المحاصصة القائمة على

الطائفية والمذهبية، يسعى "الثنائي الشيعي" إلى تكريس المحاصصة وتكريس الطائفية والمذهبية وذلك بعدما اعتبر أنه وضع يده على الطائفة الشيعية.

أكثر من ذلك، يعتبر "حزب الله" أنه استطاع بفضل سلاحه ومنابرته تغيير طبيعة المجتمع الشيعي، الذي لا يزال قسم كبير منه يرفض هيمنة الحزب، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" وبالتالي إيران. إن حسابات "حزب الله"، خصوصا بعد نجاحه في فرض رئيس الجمهورية المسيحي على اللبنانيين في 31 تشرين الأول - أكتوبر 2016، باتت تقوم أساسا على تغيير طبيعة المجتمع اللبناني كله وتغيير طبيعة تموضع البلد على الصعيد الإقليمي بصفة كونه جرما يدور في الفلك الإيراني لا أكثر.

ثمة ما هو أبعد من القبول بوزير المال "الشيعي" في وقت بات مصير لبنان مطروحا على المحك. هذا يعود بكل بساطة إلى أن تشكيل حكومة جديدة برئاسة مصطفى أديب سيعني الكثير. سيعني قبل كل شيء أن لبنان حكومة من نوع مختلف لا تضم ممثلين للأحزاب التي أوصلت البلد إلى ما وصل إليه. صحيح أنه يمكن القول إن سعد الحريري قدم تنازلا كبيرا، بل تراجع في موقفه، وهو تراجع لا تقبل به بيئته السنية ولا الحلفاء، لكن الصحيح أيضا أن هناك تشديدا على أمرين. الأول أن يختار وزير المال الشيعي هو سعد الحريري نفسه، وهذا ما ورد صراحة في المبادرة

التي قدمها رئيس الوزراء السابق. إضافة إلى ذلك، أن قبول سعد الحريري بوزير المال "الشيعي" مرتبط بأن ذلك يسري لمرة واحدة فقط أي أن لا تكريس للعرف القائل أن وزارة معينة، مثل وزارة المال، صارت ملكا لطائفة معينة.

عاجلا أم آجلا بعدما استطاع سعد الحريري رمي الكرة في ملعب "الثنائي الشيعي" سيتبين هل هناك استعداد إيراني للأخذ والرد مع فرنسا أم أن الرهان الإيراني لا يزال قائما على فكرة واحدة

في النهاية، المهم تشكيل حكومة لا تضم سوى رجال يتمتعون بكفاءات بعيدا عن تلك الشخصيات التي فرض كثيرين منها "الثنائي الشيعي" في الماضي أو "التيار الوطني الحر" في كل وقت. يندرج تشكيل مثل هذه الحكومة في صلب مبادرة إيمانويل ماكرون الذي فاته عندما جاء إلى بيروت مباشرة بعد كارثة المرفأ في الرابع من آب - أغسطس الماضي، أن هناك لبنان الجديد، لبنان "حزب الله". أخذ ماكرون علما بحجم الكارثة. أخذ علما بشكل خاص بأن لبنان



انهار فيه قطاع الخدمات. ميناء بيروت صار مدمرا ومعه جزء من المدينة. هذا غيض من فيض ما حل بلبنان حيث النظام التعليمي صار جزءا من الماضي. كان لبنان مستشفى وجامعة وبنادقا ومصرفا. لم يبق شيء من لبنان. لم يبق ما يكفي من الوقت لممارسة الألعاب الإيرانية وغير إيرانية ستقتضي على كل الطوائف اللبنانية، بما في ذلك الشيعة والسنة والمسيحيون والدروز لا فارق.

انهار فيه قطاع الخدمات. ميناء بيروت صار مدمرا ومعه جزء من المدينة. هذا غيض من فيض ما حل بلبنان حيث النظام التعليمي صار جزءا من الماضي. كان لبنان مستشفى وجامعة وبنادقا ومصرفا. لم يبق شيء من لبنان. لم يبق ما يكفي من الوقت لممارسة الألعاب الإيرانية وغير إيرانية ستقتضي على كل الطوائف اللبنانية، بما في ذلك الشيعة والسنة والمسيحيون والدروز لا فارق.

## العودة إلى بن علي

شديد وتمسك الرئيس سعيد ببقاء الفخفاخ لأخر لحظة في منصبه رقم استقالة حكومته، وسكت الجميع أمام موجة كبيرة من التعيينات والإقالات التي نفذها الفخفاخ لتحديد الخصوم وتقريب الأصدقاء.

وانسحبت هذه الصورة الدراماتيكية على علاقات تونس الخارجية وحضورها الدولي، حيث تخلت الدولة عن تماسك مواقفها وأدائها واحتكمت إلى المزاجية ومنطق "أنا أو لا أحد"، وهو ما بدأ في إقالة سفيرين لتونس بالأمر المنحدر خلال أقل من عام، في تزامن مع عضوية تونس لمجلس الأمن، وكلاهما عينه الرئيس سعيد ثم تخلى عنه تحت مسوغات غير مقنعة، ما حدا بالسفير الذي تمت إقالته في الفترة الأخيرة إلى الخروج إلى العلن وانتقاد أداء رئيس الجمهورية وتأثير المحيطين به في القصر.

ومن صور ذلك الارتباك الموقف من ليبيا، حيث راوحت تونس موقفها من دعم المجموعات المتمركزة في طرابلس، وذلك في عهد النهضة التي ادارت الملف بامرجة وحسابات خارجية، وعهد الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي الذي كان يسعى للحفاظ على المصالح الاقتصادية والتجارية لشركات تونسية في الغرب الليبي، إلى انقطاع كامل عن تضارب المصالح وشبهات الفساد لدى رئيس الحكومة السابق إلياس الفخفاخ، والتي تم التعامل معها ببرود

كل ذلك انتهت إلى أزمة دفعت الصناديق المالية الدولية، والجهات المانحة أوروبيا وعربيا، إلى مراجعة سقف التفاوض الذي منحه لتونس، وبدأت تضع الشروط القاسية قبل تقديم القروض والتمويلات والهبات خاصة مع انتشار الفساد وتحول طيف واسع من الطبقة السياسية إلى وسيط في إدارة لعبة الفساد وضرب قدرات الدولة لفائدة رجال أعمال فاسدين.

وتجاوزت دولة ما بعد الثورة أداء حكومات بن علي في حجم الفساد والحسوبية وهدر المال العام، فضلا عن تعطيل المشاريع الكبرى والصغرى، والتهاون في وقف إضرابات تمس قطاعات حيوية مثل النفط والفوسفات، خاصة أن بعض تلك الإضرابات هي تعطيل منظم تقف وراءه جهات فاسدة معلومة بالأسم والصفة، ومؤسسات الدولة راضية بذلك (في سياق لعبة شراء الصداقات التي تعتمد عليها الطبقة السياسية الوافدة على الدولة في تثبيت نفوذها).

وما يمكن الإشارة إليه هنا إلى أن رؤوس الحكم الثلاثة (رئيس الجمهورية قيس سعيد، ورئيس البرلمان راشد الغنوشي، ورؤساء الحكومات المتعاقبة) تعاملت مع الفساد كامر واقع، ولم تضعه مقياسا في تعييناتها وعلاقاتها، وهو ما كشفت عنه قضية تضارب المصالح وشبهات الفساد لدى رئيس الحكومة السابق إلياس الفخفاخ، والتي تم التعامل معها ببرود

على، مقومات تنتصر للعمل والتواضع وتبحث عن حلول خادمة للناس، بعيدا عن المثل والشعارات الوافدة من كتب التاريخ.

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيوقبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

في أفغانستان، ولكن إلى توظيف شبكة العلاقات التي بنتها الدبلوماسية التونسية في عقود.

وأثرت الاعتباطية والتسرع على أداء الدولة التونسية في أكثر الملفات الخارجية حساسية، ملف الهجرة والعلاقات مع الاتحاد الأوروبي، وهو ما عكسه الجدل حول تصريحات رسمية إيطالية تقول إن روما هدت تونس بوقف المساعدات الأوروبية إذا لم تتوقف ضط حدودها البحرية ومنع مراكب المهاجرين التي تنطلق منها باتجاه إيطاليا.

وفار لغظ كبير بعد زيارة وزير الخارجية والداخلية الإيطاليين إلى تونس ولقاء الرئيس سعيد الذي أطلق تصريحات مفادها وجود مؤامرة سياسية وراء موجات تهريب البشر من تونس باتجاه أوروبا، ثم توقف تسلل المراكب لفترة تحت ضغط قوي من الرئيس التونسي قبل أن تعود الحركة إلى عاداتها.

ويقول الخبراء إن ضعف الموقف التونسي، الناتج عن تراجع الدبلوماسية، وضعف التجربة لدى القيادات العليا في البلاد قد جرّ تونس إلى مربع قديم كان بن علي من أكبر معارضيه، وهو أن تلعب تونس دور الشرطي لحماية أوروبا من ظاهرة معقدة ناجمة عن فشل النظام الاقتصادي الدولي في أفريقيا وجنوب المتوسط، وأن تونس لا تقبل أن تدفع ضريبة سواء من خلال الاستغراق في مواجهة الأمنية وما قد تحملها من ردود عنيفة على استقرارها، أو من خلال مشاريع المحتشدات البرية أو البحرية التي تعهد الأوروبيون بتمويلها مقابل أن تتولى تونس حراستها. الأمر لم يتوقف على تونس، بل خطا المغرب والجزائر نفس الخطوات وطالبا بحلول اقتصادية دولية بدلا من التعاطي الأمني.

وطالب رمضان بن عمر، الناطق الرسمي باسم المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، في تصريحات صحافية، الثلاثاء، السلطات التونسية بمراجعة الاتفاقيات غير العادلة مع إيطاليا، مثل الترحيل القسري، ولعب دور بوليس الحدود.

وأشار إلى أن تونس باتت تقوم بدور الشرطي في المتوسط منذ 2015 بعد منحها حزمة من الإعانات من قبل الجانب الأوروبي تتمثل في إمكانيات لوجيستية وتجهيزات إضافة إلى التدريبات المشتركة من أجل اعتراض قوارب الهجرة.

وبالنسبة، فإن دولة ما بعد 2011 تعيش حالة من الارتباك والفوضى، ولن تقدر على الخروج من هذا النفق دون العودة إلى مقومات الدولة التونسية التي تأسست من عهد بورقيبة ثم بن

